

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع

@ 24 @ تعالى يغمره بجزيل بره في سائر أوقاته ويعصمه بالسداد في حركاته وسكناته ويبوئه من الفردوس الأعلى أعلى درجاته بمحمد وآله وأصحابه وأزواجه وذرياته . . .
وأوحد أهل الأدب الشهاب بن صالح فقال في كلام له : هو الحافظ الذي تمكن من الحديث دراية ورواية فاطلع وروى وتضلع وارتوى وأعان نفسه نفسه حيث طال فطاب على غوص ذلك البحر ولنعم المعين وأمدته مديده بالجواهر الثمين فحبذا ابن معين جمع ما تفرق من فنون الاصطلاح فحكى ابن الصلاح بل أربى بنخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر بل جلى كعبة فضل لو حجها أبو شيخه تهبب النطق حتى قيل ذا حجر فكأني عنيته بقولي في شيخه شيخ الحديث قديما إذ نثرت عليه عقد مدحي نظيما : () % (وقد حفظ) الحديث بحفظه % فلا ضائع إلا شذى منه طيب () % وما زال يملأ الطرس من بحر صدره لآلئه إذ يملئ علينا ونكتب جعل الله تعالى مصر به موطننا لهذا العلم حتى تصاهي بغداد دار السلام وأثابه في الأخرى جنة النعيم دار السلام ورفع بها درجاته عدد ما كتب وسيكتب في الصحف المكرمة من الصلاة على الحبيب الشفيع والسلام . . .
والإمام المحب بن القطان فمن قوله : يا له من ندى نديم وجود على السائل بالعموم التي يبخل بمثلها ابن العديم لو رآه الخطيب أو ابنه لضربا بالسيف منبر تاريخهما إعراضا ولسكنا عن كشف حال الرجال أعراقا وأعراضا جاب بالبلاد وجال واقتحم المهامه ولم يخف إلا وجال وجد في الرحلة آخذا من تقلباتها بالدين المتين ماشيا في جنباتها عندما سمع قوله : فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين مقبلا تارة بإقباله ومتصلا تارة بجهة مغرى بجمالها حال اتصاله واطئا بعزمه فروج الثرى راغبا في قول القائل عند الصباح يحمى القوم السرى مستولدا من جنات جنان فوائد الموائد جنينا شاربا من ماء حبات هبات هباته كيما يحيا معينا دخل دمشق الشام دار ابن عامر فأحيا الذاكر بعد أن أمارت ذكر ابن عساكر ولما قدم من حلب أغنى باطلاعه عن مطالعة الدر المجتلب فـ دره من حافظ رقي بسعيه وطوافه بزماننا هذا أسنى المراقبي وأبان بمرامز إشاراته ما طواه بعد النشر الحافظ ابن العراقي .